دائماً في غطرسته، كأنه نسى انه يعيش على ارض محتلة، وانه يبني ويشيد على ارض، كما لو انه ورثها عن آبائه واجداده.

فقلت ألم يأن لقائد عربي ان يلتقي بقائد اسرائيلي حتى يعرف موقفه مباشرة لا بواسطة الوسطاء، كيفما كان احترامي وتقديري للوسطاء، سواء أكانوا رؤساء دول اميركية او اوروبية او اميركية لاتينية او من الاتحاد السوفياتي. فليس هناك احسن من الحوار المباشر.

كنت اظن انه، بعد هذا التصريح، سيكون هناك بعض ردود الفعل من بعض الدول العربية على الاقل. فما سمعت، وما قرأت، منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا، اي انتقاد او اي رد فعل. واعتبرت، منذ اربع سنوات، وانا اقول لك هذا الشيء وابين لك هذه الارهاصات وهذه العلامات، انك فهمت. وعرفت انك قد فهمت لانك شعب حاذق. لقد كنت اظن بان عدداً من الناس، من بعد المرات الاولى والثانية والثالثة، سيفهمون، على الاقل، في المرة الرابعة. فهم إما لم يفهموا، واما فهموا وقالوا فلنتربص به. المهم هو ان السيد شمعون بيرس طلب مني ان نلتقي. فكان جوابي: لا يمكننا ان نلتقي، الا على قاعدة المشروعية لها، وهذه المشروعية لها شطران؛ شطر عام وشطر خاص.

الشطر العام هو انه لا يمكن ان اتذاكر معك الا في اطار مخطط فاس. والشطر الخاص هو انني اعتقد بان لي الصلاحية، دون ان اكون مفوضاً من لدن احد، ان اتناقش معك في هذا الموضوع، لانني ما زلت رئيس دورة مؤتمر القمة العربي.

فكان جوابه: ساتذاكر معك في اطار مخطط فاس، ولكن هذا لا يمنعني من ان آتي باقتراحات. قلت: طيب، ما دمت ساخاطبه في اطار مقررات فاس، وما دمت اعتقد بان لي الصلاحية، ولا سيما انني بعيد، وسنتذاكر في هذه النقطة من بعد. فآنذاك قال لي: احبذ ان نتقابل في اميركا عند زيارتك لها.

كان جوابي هو ان المقابلة يجب ان تكون مقابلة مغربية، ولا اريد ان تكون من وحي فلان او فلان، ولا اريد ان تكون تحت مظلة قارة دون قارة ولا قوة عظمى دون قوة عظمى، بل يجب ان يكون هذا اللقاء لقاء حراً، يتميز بممارسة السيادة كاملة حرة في تصرفها.

ونظراً لاهمية هذا وذاك، فضلت العدول عن السفر الى اميركا، علماً مني بان محادثات مثل هذه، وان كانت استطلاعية فقط، هي اهم بكثير، بالنسبة لمصير الامة العربية، من سفري لاميركا، وان كان للمغرب مصالح خاصة، اذ انه على ملك المغرب ان يدافع عن مصالح بلاده، حتى ان ضميري كان يشير عليّ بالذهاب للدفاع، أولاً، عن مصالح بلادي.

ولكني كنت اقول لنفسي: اذا ذهبت، وبعدها التقيت به، سيقولون انني ذهبت لاتلقى الاوامر قبل التقائي به في المغرب. هذا احسن: فانا متعب ومرهق ويلزمني ان اخذ بضعة ايام من الراحة. وحتى اكون وابقى مستقلاً في رأيي متحملاً لمسؤوليتي مائة في المائة امام التاريخ اليوم، وامام التاريخ القريب، والتاريخ البعيد، متحملاً لمسؤولية ما وقع شخصياً، لم ابلغ اي رئيس دولة عربية بهذا الخبر. وتعلم، شعبي العزيز، انني قلت لك ان والدي، رحمه الله، كان يقول لي ان النقطة الاساسية في تربيتك السياسية هي الا تكذب ابداً على شعبك، لان شعبك شعب ذكي يفطن كذبتك، ولن يستمر في تقديره لك اذا كذبت عليه.

اقول لك، شعبي العزيز، انني لم اطلع على نيتي وارادتي اية دولة عربية، بل لم اطلع اية دولة اوروبية او افريقية او اسيوية او اميركية او اميركية لاتينية.

بل الاكثر من هذا، فلدي برقية من الرئيس ريغان، يقول لي فيها: «لقد بلغني ـ وهنا علمت بان الخبر قد تسرب من الجانب الآخر ـ انك ستلتقي بالوزير الاول فلان الفلاني، وانني ارجوك ان يكون هذا اللقاء عندي، حتى يمكنني ان ادعم هذا اللقاء بكل الدعم الاميركي».

فجوابي هو ما علمتم، وهو انني لم اذهب الى اميركا. لماذا ؟ لانني اذا ربحت، فالربح سيعود على الجميع، واذا اخطأت فأريد ان اخطئ وحدي واتحمل عبء وثقل ومسؤولية خطأي. اذن،